

الفكر الإسلامي المعاصر وتحديات المرحلة

Contemporary Islamic thought and the challenges of the stage

د. سلوى بن أحمد | جامعة الزيتونة، تونس

salouabenahmed22@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/12/19 تاريخ القبول: 2025/06/08 تاريخ النشر: 2025/07/10

الملخص:

تناولت هذه المقالة بالدراسة والتحليل ماهية الفكر الإسلامي المعاصر، ملامح تشكيله واتجاهاته الكبرى، وتكمن أهميتها في كونها قد بينت أهم المدارس الفكرية التي ساهمت في تطوير وبناء الفكر الإسلامي الجديد، الذي تطرق لقضايا راهنية كانت في وقت ما من المواضيع المسكوت عنها، نظرا لحساسيتها ولخصائص بعض مجتمعاتنا الإسلامية، محاولين في الأثناء الخوض في مختلف التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي المعاصر، والمساهمة في بناء النظام العالمي الجديد.

الكلمات مفتاحية: الفكر الإسلامي المعاصر؛ القضايا؛ التحديات؛ النظام العالمي الجديد.

Abstract:

This article dealt with the study and analysis of the nature of contemporary Islamic thought, features of its formation and major trends, Its importance lies in the fact that it has shown the most important schools of thought that contributed to the development and construction of new Islamic thought, Which touched on current issues that were at one time one of the topics that were kept silent about, due to their sensitivity and the characteristics of some of our Islamic societies n the meantime, we have tried to delve into the various challenges facing contemporary Islamic thought and contribute to building the new world order.

Keywords: Contemporary Islamic thought; issues; challenges; the new world order

1. مقدمة:

العقل هو مفتاح فهم نَوَاميس الكون والحياة، وهو أداة لقراءة وفهم أسرار الخلق والموجودات، والفكر والتفكير عملية عقلية بامتياز، يتم من خلالها الكشف عن أبجديات العلوم والمعارف، وتحديد النظريات والقواعد، وتأصيل المسائل، وبناء وجهات النظر والنتائج، والفكر عملية أصيلة وأصلية في البناء الحضاري والإنساني، ودونه لا يمكن أن نتحدث عن حضارة أو عن تاريخ أمة.

والفكر الإسلامي هو نتاج لَوْحِي إلهيٍّ، أساسه عملية عقلية معرفية، قوامها الاجتهاد والقياس والترجيح، وغيرها من العمليات الفكرية التي كَوَّنت الصَّرح المعرفي الإسلامي.

وبناءً على ما سبق، فإنَّ الفكر الإسلامي الذي هو طبيعة التَّصوُّر الإسلامي لقضايا الوجود الكوني والإنساني، على اختلاف مصادره، وَجَبَ أَنْ يُوَأكِبَ المفاهيم الحدائِية لمختلف التَّطوُّرات الاجتماعية، على اختلاف مستوياتها السِّياسية والاقتصادية والأخلاقية والنفسية، ويتمشى مع المنظومة العالمية الجديدة دون ذَوْبَانٍ أو اضمحلال في الغيرية الغربية، والاعتراب في مضامينها المناهضة لأبجديات الثقافة الإسلامية.

الإشكالية:

يقودنا هذا الطَّرح للتساؤل وبقوة عن حدود التأثير والتأثر في الفكر الإسلامي المعاصر؟ ما هي أبرز توجهاته وأهم قضاياها؟

وهل معنى «الإسلامي» أو «الإسلامية» في العقل المسلم واضح بالكيفية المطلوبة التي تمكَّنه من المواجهة والمواجهة والدِّفاع عن إسلاميته، ومختلف إشكالياته وفق النِّظم المجتمعية المحيطة به؟

وهل خصائص هذا الفكر تمكَّنه من الصَّمود أمام النِّظام العالمي الجديد الذي يقبع تحت الهيمنة الغربية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الموضوع الذي تعالجه على اعتبار أنه موضوع متغير ومتجدد، فالفكر الإسلامي منظومة متكاملة في أبعادها تُلامس مُختلف جوانب حياة الإنسان.

ومن ناحية أخرى تُقدِّم هذه الدراسة أهمَّ الإشكاليات المعاصرة التي طرحها الفكر الإسلامي المعاصر، وتبيِّن أهمَّ التَّحديات التي تواجهه، فتفصح عدَّة مخططات غربية تستهدف الإسلام والمسلمين.

منهج البحث :

اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج التاريخي، حيث أرخت لنشأة الفكر الإسلامي وعوامل تطوُّره من جهة، وإلى أهمِّ مدارسه من جهة أخرى، والمنهج التحليلي الوصفي، أين حلَّلتُ مختلف الآراء حول المسائل والقضايا التي تناولها الفكر الإسلامي المعاصر، ثمَّ خُلصْتُ إلى بعض النتائج والأهداف.

الدراسات السابقة وجديد المقال:

لم يكن هذا البحث إلا إضافة ضمن باقة لا بأس بها من الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع المتعلق بالفكر الإسلامي المعاصر، وممن تناوله بالدراسة العميقة على سبيل الذكر لا الحصر:

الدكتور عبد الحميد محسن في كتابه: «تجديد الفكر الإسلامي»، والدكتور محمد البهي في كتابه: «الفكر الإسلامي في تطوره»، والدكتور محمد عمارة في كتابه: «أزمة الفكر الإسلامي المعاصر».

وعليه تكون ميزة هذا البحث هو إعادة طرح الموضوع من جهة أولى، على اعتبار أن التجديد سنة دائمة استناداً للحديث النبوي الشريف، وبالتالي فتكرار البحث فيه أمر ضروري.

ومن جهة ثانية فإن هذه الدراسة قد استوعبت هذا الإشكال من منظور معاصر، فربطت مختلف التحديات بالنظام العالمي الجديد، الذي يسعى لإقامة نفسه وسحق أهم العقاقيل التي تواجهه، ومن أهمها دين الإسلام، وهو عمق ما نعيشه اليوم وما يحصل حولنا في مجتمعاتنا الإسلامية وداخل رقعته الجغرافية.

2. الفكر الإسلامي بين الماهية واتجاهاته الكبرى:

1-2 في رحاب المعنى:

أ. المعنى اللغوي:

ذهب ابن فارس إلى أن الفاء والكاف والراء تردّد الشيء في القلب، يقال تفكر إذا ردّد قلبه معتبراً، ورجلاً فكّبر أي: كثير الفكر⁽¹⁾، وقال صاحب لسان العرب: إن الفكر والفكر إعمال الخاطر في الشيء⁽²⁾.

وعليه، فإن المعنى اللغوي لمصطلح «الفكر» يحيل إلى العملية العقلية المعنوية التي تتم من خلال الذهن من طريق التصوّر والتدبّر والتأمّل.

ب. المعنى الاصطلاحي:

جاء عن التهانوي في الموسوعة: أن الفكر في اللسان الأعجمي الإنجليزي (reflection - Thought) وفي الفرنسية (reflexion, pensée)، والفكر يُطلق على ثلاثة معاني، الأول: حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرّفة، أي حركة كانت، أي: سواء كانت بطلب أو بغيره، وسواء كانت من المطالب أو إليها، فخرّج بقيد الحركة الحدس، لأنه الانتقال من المبادئ إلى المطالب دفعةً لا تدريجاً، والمراد بالمعقولات ما ليست محسوسة، وإن كانت من الموهومات، فخرّج التخيّل لأنه حركة النفس في المحسوسات بواسطة المتصرّفة، وتلك القوة واحدة، لكن تُسمّى باعتبار الأول متفكّرة، وباعتبار الثاني -أي: باعتبار حركة النفس بواسطتها في المحسوسات- متخيّلة⁽³⁾.

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، 1979م، ج4، ص: 357.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ، مادة فكر، ج5، ص: 65.

(3) التهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تج: علي دحدوح، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، ج2، ص: 1286.

وكلّ متميّزٍ في المصطلح وإن كان بصورة خاطفة يُدرك مباشرة أنّنا حيال مسألة متعلّقة أساساً بالدين الإسلامي لا غيره، فمصطلح الفكر الإسلامي كمركبٍ إضافي أفاد بأنّ موضوع هذا الفكر هو الشريعة الإسلامية، وقد جاء في تعريفه بصورة دقيقة أنّه: «كلّ ما أنتجته فكرُ المسلمين منذُ مبعثِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى اليوم في المعارف العامّة المتّصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل لتفسير تلك المعارف العامّة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدةً وشريعةً وسلوكاً»⁽¹⁾.

ويذهب محمّد البهي للقول: «إنّ الفكر الإسلامي هو المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسلام في مصادره الأصلية، القرآن والسنة النبوية الصحيحة، إمّا تفقّها واستنباطاً لأحكام دينيّة، وإمّا توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه وبين الأفكار الأجنبية، وإمّا دفاعاً عن العقائد الصحيحة أو ردّ العقائد المنحرفة»⁽²⁾.

وبناءً عليه، يمكن القول: إنّ الفكر الإسلامي المعاصر هو ثمرةُ الاجتهادات العقلية في مختلف العلوم الإسلامية، والمنضبطة بمبادئ الدين الإسلامي.

وعصّرت الفكر الإسلامي أمرٌ ضروريّ ولازم، وذلك لعدّة اعتبارات أهمّها المحافظة عليه من التلاشي وفقدان دوره الرئيس الذي يؤدّيه في حياة المسلم، وثانيها المحافظة عليه من الدوبان والاغتراب في دهاليز الآخر الغربي.

وأستحضر في هذا المقام رأي الدكتور محمّد عمارة في كتابه «أزمة الفكر الإسلامي المعاصر»: «يجب أن نفهم على أنّها تحريره من الجمود والتقليد الأعمى، وتحريره من الغرور، وتحريره من الهوى، وتحريره من الجمود والتقليد الأعمى للسلف، سواء أكان هذا السلف هو سلفنا نحن أم سلف الحضارة الغربيّة، فالجمود النصوبي آفة، سواء أكانت هذه النصوص من موروثنا نحن أم مستوردة عن الآخر الحضاري»⁽³⁾.

وعليه لا ننكر التزام بعض المدارس الفكرية بتقاليد قديمة دون مراجعة أو نقد، ما أدّى إلى جمودٍ فكريّ، غير أنّه لا بدّ من اتّباع التوازن بين احترام التراث والقدرة على التجديد والتطوير، فالجمود الفكريّ من شأنه أن يؤدّي إلى انغلاق المجتمعات الإسلامية عن العالم الخارجي، ما يعيق من تطورها ومجاراتها لسياق الواقع، وفي المقابل من شأن الانفتاح غير المدروس أن يؤدّي إلى فقدان الهوية الإسلامية والقيم الأساسية، وهو ما يجعل الفكر الإسلامي المعاصر بحاجة إلى نهج متوازن يجمع بين المحافظة على الهوية والتفاعل الإيجابي مع المتغيّرات العالمية وسياق العولمة.

2.2 الفكر الإسلامي من الحداثة إلى المعاصرة: ملامح التشكّل والاتّجاهات الكبرى

أ. الفكر الإسلامي النشأة والتّطور:

• مرحلة التّكوين:

(1) محسن، عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م، ص: 41.

(2) البهي، محمّد، الفكر الإسلامي في تطوّره، ط2، مكتبة وهبة، 1981م، ص: 6.

(3) عمارة، محمّد، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، د.ط، القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990م، ص: 14.

نشأ الفكر الإسلامي على مراحل متعددة ومحطات تاريخية أسهمت في تبلوره وتطوره تدريجيًا، بحسب ما تقتضيه طبيعة كل مرحلة، وقد قسم الباحثون مراحل نشأة الفكر الإسلامي المعاصر إلى فترات مختلفة، كلٌّ بحسب فهمه ورؤيته الخاصة، وفقًا لبعض الأحداث التاريخية التي مثلت فارقًا كبيرًا على عدة أصعدة، وقد كانت أول هذه المراحل ما اصطُلح عليه بمرحلة التكوين، والتي تكونت خلالها اتجاهات الفكر الإسلامي الأساسية عامة، التي أنتجت جملة المذاهب الفقهية والعقدية، وتفسير القرآن الكريم، والمدارس الصوفية والفلسفية.

لقد أسهمت عدة عوامل في تشكّل مختلف هذه الاتجاهات، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو ثقافي وغيره، وتُعتبر الانقلابات والأحداث المحلية في الوسط الإسلامي عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من أشدّ الأمور التي كان لها الأثر القويّ لنشأة مذاهب العقيدة في الإمامة، وبروز أهمّ الفرق الإسلامية كالشيعة، يقول البيهّ محدّدًا فترة نضوج واكتمال نشأة الفكر الإسلامي: «إنّ الفتح الإسلامي انتهى بانتهاء القرن الأوّل الهجري، وإنّ نهاية القرن الثالث الهجري هي النهاية الزمنية لاستقرار الفكر الإسلامي وتكامله»⁽¹⁾، ومعنى هذا الاستقرار كما وضّح الرّجل هو: «كلّ الاتجاهات الفكرية ومدارس الرّأي المختلفة في الفقه والعقيدة والتّصوّف، وقد وضّحت، وتميّز بعضها عن بعض، وعُرف لها أنصارها وأتباعها، ورُسّمت لها خطوط الجدّل والنّقاش وأصول الاستنباط ومناهج الشّرح والتّوفيق، إلى غير ذلك ممّا يتّصل بتحديد الفكر في مصادره وأهدافه، وفي طريق سيره من بدايته إلى بلوغ غايته»⁽²⁾.

ومن جهة أخرى، فإنّ مختلف العقائد والأفكار والممارسات على اختلافها من الوثنية والزّرادشتية والبوذية والبرهمنية والمناوية والمسيحية واليهودية والإغريقية والفلسفية التي لامسها المجتمع الإسلامي، وعرفها إبان اختلاط المسلمين بغيرهم بدءًا من زَمَن الفتوحات الإسلامية، كان لها الدور الرئيس في نشأة المذاهب الفلسفية والتأثير في بعض الممارسات والطّرق الصّوفية.

ونظرًا إلى هذا الاختلاط والتّداخل بين الثقافات، حيث عرّف المجتمع الإسلامي توسّعا وتأثّرًا أدى إلى تطوّر المجتمع، وبروز إشكالات حياتية حديثة أسهمت في نشأة المدارس الفقهية المختلفة.

• مرحلة إعادة البناء:

المرحلة الثانية لتطوّر الفكر الإسلامي المعاصر كما جاء في كتاب «الفكر الإسلامي وتطوّره»، هي مرحلة إعادة بناء المجتمع الإسلامي، وفي هذه المرحلة برزت أسماء عدّة من أهمّها ابن تيمية (661هـ-728هـ)⁽³⁾، ومحمّد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ)⁽⁴⁾، ومحمّد بن عبد الوهّاب (ت 1206هـ)⁽⁵⁾.

(1) البيه، محمد، الفكر الإسلامي في تطوّره، ص: 29.

(2) المرجع نفسه.

(3) أبو العباس ابن تيمية، عالم دين مسلم برع في علم الفقه - وكان حنبلي المذهب-، والعقيدة، والحديث، والتّفسير، عاش خلال العصر المملوكي (دولة المماليك)، له العديد من المؤلفات من أهمّها: كتاب مجموع الفتاوى، والعقيدة الواسطية، وكتاب منهاج السّنة، وغيرها كثير، من أشهر تلاميذه ابن القيم الجوزية، ابن كثير الدّمشقي، شمس الدّين الدّهلي ... (ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، ط3، بيروت، دار ابن كثير، 2013م، ج13، ص: 335).

(4) هو محمّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، توفّي سنة 895هـ، برع في علم التّوحيد والعلوم العقلية والفقهية، اشتهر بمصنّفه التّفيس أمّ البراهين (العقيدة الصّغرى) في علم التّوحيد، وله غيره من العناوين، ومنها: كتاب شرح الوغليسيّة، وكتاب المقدّمات وغيرها. (ابن

في هذه الفترة عاش المجتمع الإسلامي شروخاً عدّة، وتمزّقاً، وجنوحاً عنّ تعاليم الدّين الإسلاميّ، نتيجة التّعصّب المذهبي الذي أدّى إلى إضعاف الاجتهاد، والانديساس في صفوف المسلمين إبان اعتداء التّتار والحروب الصّليبيّة.

• مرحلة الاستعمار:

خلال هذه المرحلة حاول الاستعمار بشقيّه الغربيّ والشرقيّ السيطرة على المسلمين -خاصّة فكريّاً-، ما جعلهم ينقسمون إلى مؤيدين وموالين للمستعمر، من أمثال أحمد خان الهنديّ الذي عمل على إرضاء المحتلّ الإنجليزيّ، وقد ورّد بالعروة الوثقى ما نصّه: «فاتّفق أنّ رجلاً اسمه أحمد خان بهادور كان حوّم حول الإنجليزيّ، وبدّاً لينال فائدة من لديهم، فعرض نفسه عليهم وخطّاً بعض الخطوات لإخلع دينه، والتدّين بالمذهب الإنجليزيّ، وبدّاً بكتابة كتاب يُثبت فيه أنّ التّوراة والإنجيل ليسا محرّفين ولا مبدّلين ... وكتب تفسيراً على القرآن، فحرّف الكلم عن مواضعه وبدّل ما أنزل الله، وأنشأ جريدة باسم: تهذيب الأخلاق، لا ينشر فيها إلّا ما يضلّل عقول المسلمين...»⁽¹⁾.

والمذهب القادياني الذي نشأ فيما بعد هو امتداد لفكر أحمد خان، والذي من خلاله «تمّ نشر الفوضى الفكرية في العالم الإسلاميّ، وعدم الثقة بمصادره الصّحيحة وسلفه، وتقطّع صلة هذه الأمّة عن ماضيها وخير أيامها وأفضل رجالها، وفتّح باب الادّعاء والمتطّلقين على مصرّاعيه، ونسيء الظّن بقوة الإسلام وحيويّته وإنتاجه وتيّس المسلمين من مستقبلهم»⁽²⁾.

هذه الممارسات من قبل المستعمر والموالين له أسهمت بصورة أكبر خلال العصر الحديث في نشأة جيلٍ نائيرٍ مقاومٍ ومناهضٍ للاستعمار، ولمختلف المذاهب التي خلفها، ومن أبرز رجالات هذه المرحلة جمال الدّين الأفغاني (1838م / 1897م)⁽³⁾، ومحمّد عبده (1849م / 1905م)⁽⁴⁾، ومحمّد إقبال (1877م / 1938م)⁽⁵⁾.

قاضي، المكتاسي، درّة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 2002م، مج 2، ص: 525.

(5) يعتبر من مجدّدي الإسلام في بلاد نجد، ولد 1115هـ وتوفي 1206هـ، له مؤلّفات كثيرة منها: كتاب التّوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد، وكتاب الكبائر، وكتاب الأصول الثلاثة، وكتاب فضل الإسلام، وغيره ... (الشّوكاني، محمّد بن علي، البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، تحقيق صبيح حلاق، ط1، دمشق، دار ابن كثير، د.ت، ص: 479).

(1) الأفغاني، جمال الدّين، مجلّة العروة الوثقى، العدد الأوّل، 11 مارس 1884.

(2) البيهقي، محمّد، الفكر الإسلاميّ الحديث وصلته بالاستعمار الغربيّ، ط10، القاهرة، مكتبة وهبة، د.ت، ص: 37.

(3) مفكر إسلامي، من مؤسّسي حركة الحداثة الإسلاميّة، وأحد دعاة الوحدة الإسلاميّة والإصلاح الدّيني في القرن التّاسع عشر، أفغاني الجنسيّة من تلاميذه محمّد عبده (الأفغاني، جمال الدّين، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمّد عمارة، د.ط، القاهرة، دار السّلام للطباعة والنّشر، د.ت، ج2، ص: 32).

(4) فقيه مسلم وهو أحد تلاميذ الشّيخ محمّد عبده رائد من رواد النهضة أواخر القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين، أسّس صحيفة العروة الوثقى سنة 1885م، وفي نفس السّنة كذلك أسّس الجمعيّة السّريّة التي تحمل نفس اسم المجلّة، شغل منصب مفتي الدّيار المصريّة عام 1899م من أهمّ مؤلّفاته: رسالة التّوحيد، وكتاب الإسلام والنّصرانيّة بين العلم والمدنيّة (الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتّى سنة 2002م، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت، ج 5، ص: 429).

• التجديد والإصلاح الديني:

تقريباً هذه المرحلة كانت مع بدايات القرن العشرين، أين يُمكننا الحديث عن فكر إسلامي معاصر، على اعتبار أنّ ما سبقها يدخل في حقبة الحديث، وخلال هذه الفترة المعاصرة ابتدأ التفكير في التجديد وإصلاح الفكر الديني، غير أنّه مع محاولات وصيحات التجديد التي رُفعت، تبقى هنالك تبعيّة خفيّة من بعض الأطراف في هذا المجال إلى المستعمر، يقول البهي: «إنّ حركة التجديد في الفكر الإسلامي في القرن العشرين لم تكن بإملاء الاستعمار الغربي مباشرةً، ولكنّها مع الأسف الشديد تُعاونُهُ في ازدياد نفوذه، لأنّها ترديدٌ للفكر الغربي ونظريته إلى الإسلام أو للفكر الغربي الطبيعي ونظرته الماديّة في الحياة، وبذلك تُعتبر من حيث الأثر السلبي على القيم الإسلامية استمراراً لاتّجاه معاونة الاستعمار المكشوفة في القرن الماضي بل كانت في سلبيتها أشدّ وأقسى على هذه القيم»⁽¹⁾.

والحقيقة أنّ بعض المشاريع التي غُلّقت بغلاف التجديد الديني هي في الأصل مشاريع تغريبية، أفاضت إلى مزيد طمس وإذابة الشخصيّة الإسلامية في الهويّة الغربيّة التي تحاول تقديم نفسها كمحوّر هامٍّ وعمليّ بإمكانه أن يقوم بعملية التوجيه والإحاطة بدلاً من غيره، لكنّ في المقابل كان هنالك مشاريع تجديدية ناجحة وإن كان الأمر نسبياً.

ب. الفكر الإسلامي واتّجاهاته الكبرى خلال العصر الحديث:

ضَعُفَت المجتمعات الإسلاميّة وانهارت كثيراً إبان الموجة الاستعماريّة، التي عاشتْها على مختلف الأصعدة، ربّما يلخّص مالك بن نبي هذه المسألة بقوله: «إنّ الاستعمار قد جاء إلى العالم الإسلامي نتيجة مَرَضٍ أساس عِنْدَنَا، هو القابليّة إلى الاستعمار ... وهو نتيجة الصّراع الفكريّ الذي خطّط له الاستعمار وأحسن إحكام الخطّة، لقد سلّط الاستعمار الأضواء على المشكلات الهامشيّة، بينما ترك في الظلام كلّ رؤية منهجيّة سليمة تفتح الطريق أمام حركة التّاريخ»⁽²⁾.

إنّ ظاهرة الاستعمار على اختلاف مستوياتها ووسائلها جَعَلَتْ من الفرد المسلم يعيش في دوامة اغترابٍ دينيّة وأخلاقيّة وهويّاتيّة، أثبتت فعلاً أنّنا بحاجة ماسّة إلى ثورات إصلاحيّة، وقد حاول البعض ممّن يتبنّى هذه الفكرة خلال العصر الحديث (أواخر القرن التاسع عشر)، بلوّة حركات إصلاحيّة أسهمت في تجديد الفكر الإسلامي، وواجهت مختلف مظاهر الاستبداد السياسي خاصّة، ومن هذه النماذج:

• حركة محمّد بن عبد الوهّاب (الوهابيّة):

نسبَةً إلى الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب، والتي أَخَذَتْ في بداياتها طابعاً عقديّاً، ونادَتْ بتصحيح الفهم للعقيدة الإسلاميّة على منهج السّلف -على حدّ رؤيتها-، ما مكّنها من استقطاب عددٍ كبيرٍ من الأتباع داخل وخارج

(5) هو أحد رواد النهضة الحديثة، وهو فيلسوف وشاعر هندي شهر بلقب: مفكر باكستان، من أهم مؤلفاته: كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، وكتاب والآن ماذا ينبغي أن نفعل يا أمم الشرق، ورسالة المشرق وغيرها ... (الغوري، سيّد عبد الماجد، مقدّمة ديوان محمّد إقبال، ط3، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر، 2007م، ج1، ص:6).

(1) البهي، الفكر الإسلامي في تطوّره، ص: 17.

(2) بن نبي، مالك، الصّراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط1، القاهرة، دار الفكر، 1960م، ص: 66.

الجزيرة العربية، كبلاد الهند وأفغانستان، وهو ما أسهم في انتشار هذه الدعوة وتبني أفكارها في هذه المناطق والعمل بها.

ويرى العقّاد أنّ السبب الرئيس لنجاح دعوة ابن عبد الوهّاب ميزة المجتمع آنذاك، الذي يتّسم بالبساطة، يقول: «وسبق هذه الدعوة في تاريخها يرجع إلى بساطة المجتمع الذي ظهرت فيه، وإلى ابتعاده في داخل شبه الجزيرة عن عوائق الحياة العصرية بين الأمم الإسلامية الأخرى، التي تختلط فيها عوامل السياسة والاجتماع»⁽¹⁾. مثلت الحركة الوهابية مشروعاً سياسياً لقيّ صدّاً من قبل المستعمر آنذاك والدولة العثمانية، حتّى تكاثفت جهودهم للقضاء عليه، إلّا أنّه مثل فكرة قويّة تأثّر بها البعض فيما بعد حيث عملوا على الاستمرار والمواصلة في نفس النهج، منهم محمّد عبده والأفغاني وغيرهم ...

• حركة محمّد بن علي السنوسي⁽²⁾ (السنوسية):

تأسست هذه الحركة في ليبيا خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ومن أبرز شخصياتها -إلى جانب مؤسسها- الشيخ المهدي محمّد بن علي السنوسي (1844م- 1902م)، وهو ابن مؤسس الحركة، وقد خلفه في قيادة الدعوة وعمره اثنا عشر عاماً، والشيخ عمر المختار (1856م- 1931م)، الذي قاتل المستعمر لمدة عشرين عام رغم تقدّمه في السن.

عُرفت الحركة السنوسية بالدعوة إلى الله بأسلوب حسنٍ معتدلٍ، بعيدٍ كلّ البُعد عن العنف والتشدد، إلى جانب استماتتها في الجهاد الدائم ضدّ المستعمر الإيطالي، انتشرت هذه الحركة في مدينة البيضاء، وواحة الجغبوب في الصحراء الشرقية بليبيا، كذلك في كامل إفريقيا الشمالية، وتمكّنت من نشر الإسلام داخل القبائل الوثنية الإفريقية، وكانت تعمل بصفة كبرى على تجديد الكثير من مظاهر الفكر السائد آنذاك، ضمنَ مَحاوِر كبرى هي: العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، توحيد المذاهب، وفتح باب الاجتهاد، ونشر تعاليم الإسلام، ومقاومة النفوذ الأجنبي⁽³⁾.

• مدرسة جمال الدين الأفغاني:

عُرف جمال الدين الأفغاني بأنّه أبرز مؤسسي حركة الحداثة الإسلامية، وأحد دعاة الوحدة الإسلامية، دعا إلى تجديد الفكر الديني حتّى يتناسب مع الحاجيات المعاصرة آنذاك، وأهمّ ما عمّلت عليه هذه المدرسة هو نبذُ الجمود والتقليد والتعصّب، والاجتهاد في فهم مقاصد الشريعة على الصيغة التي تتوافق مع حاجات العصر الملحة ومستجدّاته، ورفض الاستبداد السياسي الذي يمثّل أهمّ عوامل تخلف المسلمين آنذاك، والتصدّي

(1) العقّاد، عبّاس محمود، الإسلام في القرن العشرين: حاضره ومستقبله، د.ط، القاهرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1954م، ص: 72.

(2) هو عالم جزائري مالكي المذهب، ولد بمدينة مستغانم بالجزائر سنة 1787م، وتوفّي بليبيا سنة 1859م، تتلمذ على يد أكبر مشايخ عصره منهم الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي الذي لازمه حتّى توفّي سنة 1835م (القادري، عبد المالك بن عبد الله، مختصر الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، د.ط، دمشق، دار الجزائر العربية، 1385، ص: 6 وما بعدها).

(3) الجندي، أنور، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1979م، ص: 262.

للمحملات الفكرية الغربية الساعية لتشويه الدين، والدعوة إلى الانفتاح على مواطن القوة في الحضارة الحديثة، والاستفادة من التجارب الإنسانية الحضارية⁽¹⁾.

استمرت أفكار جمال الدين تنبؤ حياة بعد وفاته، فتبنّاها الشيخ محمد عبده وطورها، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا (1865م-1935م)، وعبد الرحمن الكواكبي (1855م-1902م) الذين عملوا على تغيير مناهج وأساليب الفهم والتحليل للقضايا الاجتماعية والدينية الحديثة، وعلى إعداد وسائل تهض بالأمة وتقوّيها، ومناهضة ظاهرة الاستبداد السياسي⁽²⁾.

3. الفكر الإسلامي المعاصر: أهم القضايا والتحديات

1.3 قضايا الفكر الإسلامي المعاصر:

تعددت القضايا التي تناولها الفكر الإسلامي المعاصر، وذلك لخصوصيات هذا العصر القائمة على التطور التكنولوجي الكبير والدكاء الاصطناعي، الذي لعب دورًا كبيرًا في عمليات التغريب الديني والفكري والثقافي والحضاري، الأمر الذي حدا بالكثير من الباحثين والمفكرين لطرح مختلف إشكالات هذا العصر وفق رؤية إسلامية معاصرة، كلُّ وزاوية علمه، وكلُّ وجهة نظره، غير أننا سنقتصر على بعض الأمثلة في العرض.

وقد مثلت قضية الدين والغرب أهم القضايا التي أسس عليها بعض المفكرين أطروحاتهم، منهم مثلاً محمد قطب الذي طرح قضايا راهنية جادة تدعو إلى الصّحوة الإسلامية، منها: مسألة المسلمون والعملة، مذاهب فكرية معاصرة، قضية التنوير في العالم الإسلامي، واقعنا المعاصر، تطور العقيدة ومنهج دراسة الدين، التأثير الإسلامي، صراع الحضارات، موقف أوروبا من الدين، وغيرها من الإشكاليات الراهنة التي يعاني منها المجتمع الإسلامي في محاولة منه لتغيير الواقع وتجديد الفكر الإسلامي.

يقول الدكتور محمد المسير: «يتشابه الفكر الإنساني في ماضيه وحاضره ومستقبله، لكنّه يتميز في كلّ عصرٍ بملامح ومنطلقات وغايات»⁽³⁾، والفكر الإسلامي جزء من هذا الفكر الإنساني، وعليه فهو جزء لا يتجزأ من حركة التجديد هذه، ووفق هذا المبدأ الذي دافع عنه الرجل فإنّه قد طرح إشكاليات معاصرة تميّز بها عن غيره، وهو ما يبني نسيج الفكر الإسلامي المعاصر ويزيد من دعائمه، وقد مثلت قضايا الاستنساخ، وتأجير الأرحام، والحمل من الزوج المتوفى؛ قضايا ساخنة طرحها "المسير" في كتابه «قضايا الفكر الإسلامي المعاصر»، وقد أدّجّ خلاله كذلك رؤى نقدية مختلفة لحاضر العالم الإسلامي وحقوق الإنسان وغيرها.

تناول الدكتور المسير مسألة التجديد من زاوية واضحة، وحاول توضيح معنى التجديد، وهل المقصود به هو الاجتهاد في الدين والتمكين لمنهج الله برؤية عقلية مستنيرة، أم أنّ المقصود هو طرْحُ رؤى متباينة، لا علاقة لها بالدين ومحاولة تبريرها أو تمريرها إسلاميًا؟⁽⁴⁾

(1) عبد الحميد، محسن، تجديد الفكر الإسلامي، ص: 102.

(2) فتحي، عبد الفتاح أبو حسن شكر، الإحياء بعد الإنشاء، دط، القاهرة، دار الكلمة، 2017م، ص: 32.

(3) المسير، محمد سيد أحمد، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2002م، ص: 3.

(4) المسير، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ص: 41.

والحقيقة أنه في الإجابة عن هذا السؤال فضحّ لتيارات تغريبية تحاول إذابة الحضارة الإسلامية وتغريبها عن أصولها تحت مُسَمّى التجديد، يقول مثلاً حول ما سمّاه أكدوبة اليسار الإسلامي: «لا يعترف اليسار الإسلاميّ إلاّ بسلطة العقل، ويرفض الحدس والفيض والإشراق والعلم الدنّي والنور المقدّوس في القلوب، والأدعية والماورائيات، وأنّ العلم هو الحكم، والطريق الأمثل والأوحد لحلّ المشكلات وأنّ العلماء الحقيقيين هم أصحاب العلوم التجريبية، وهم وحدهم الذين يكتبون الروشّات لما تتردّى فيه المجتمعات من أزمات، وإنّ النصوص الدنيّة تاريخيّة ترتبط بسبب نزولها ومناسبة ورودها، وقد انتهى دورها، وأنّ حكم الوقت ملازم لها، ولا صلاح للدنيا بالدين»⁽¹⁾.

والحقيقة أنّ المجتمعات الغربية تعيش ثغرة هامة تثبتُ خواء حضارتها المزعومة التي تقع في مأزق تجاهل الغيب وإنكار وجود الخالق، ما يؤكّد وجود تدهور فكريّ فيمن يقول بعبئيّة الحياة واللامعقول في الفلسفة الوجوديّة، والحديث عن التّهايات كنهاية الفلسفة والتّاريخ والحداثة والحضارة.

غير أنّ هذا التّدهور الفكري قد لامس مجتمعاتنا الإسلاميّة، حتّى صرنا نبحث عن حلّ للخروج من هذا المأزق الحضاري والمعرفي الذي نعيشه، ومن هذه الحلول طرح الفكر الإسلاميّ المعاصر مسألة إسلاميّة المعرفة، التي دافع عليها الدكتور طه جابر العلواني مبيناً أنّها منهجٌ وليست مذهباً، ردّاً على من ادّعى أنّها نزعة فكريّة جامدة، يقول: «استقرّ في فكر مدرسة إسلاميّة المعرفة منذ نشأتها أنّها رؤية منهجيّة معرفيّة، وليست حقلاً علمياً دراسياً أو تخصصياً أو أيديولوجيّة أو نخلة جديدة، ولذلك فهي تسعى دائماً في قضايا المعرفة والمنهج إلى التّجدد، والتّبلور، واكتشاف الذات والواقع، وعدم التّفوق أو الوقوف عند مرحلة زمنيّة معيّنة، أو مقولات وتحديدات ثابتة»⁽²⁾.

وبناءً عليه، فإنّ دراسة العلوم وإعادة تصنيفها من منظور إسلاميّ سواء كانت من صنف العلوم الطّبيعيّة أو الإنسانيّة، دون التّخلّي عن المعارف التي وصلت إليها الإنسانيّة، فالدين الإسلاميّ كما ذهب إلى ذلك العلواني يقدّم إجابات شافية على الأسئلة الكبرى التي ما تنفك تطرح نفسها على ذهن الإنسان، وتدور حول الخالق، والإنسان والكون⁽³⁾.

ومن زاوية أخرى؛ إلى جانب المنظور الاجتماعي والحضاري، تطرّق الفكر الإسلاميّ المعاصر إلى المجال الاقتصاديّ، فتناول عدّة رؤى هامة في الخضمّ، منها دور القيم الإسلاميّة في إعادة بناء النظام الاقتصاديّ داخل الدّول الإسلاميّة، «فإذا كان النظام الاقتصاديّ الإسلاميّ يقوم على التّشريعات إلى جانب السلوكيّات، فإنّ نجاح الاقتصاد الإسلاميّ يعتمد على النّجاح في تغيير السلوكيّات، فالتّبعيّة للغرب هي تبعيّة فكريّة وسلوكيّة بالأساس، والسلوكيّات المتغرّبة تمثّل قابليّة الاستعمار أو الاستعمار؛ الأمر الذي يطرح بقوة دور القيم في إعادة بناء النظام الاقتصاديّ في الدّول الإسلاميّة»⁽⁴⁾.

(1) المسير، قضايا الفكر الإسلاميّ المعاصر، ص: 39.

(2) مجموعة من المؤلّفين، قضايا إشكاليّة في الفكر الإسلاميّ المعاصر، ط1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، 1997م، ص: 48.

(3) قضايا إشكاليّة في الفكر الإسلاميّ المعاصر، ص: 50.

(4) المرجع نفسه، ص: 305.

ومنها: قضية الإنتاج من منظور إسلامي، والتنمية ومفهومها في الإسلام، وخاض في الأبعاد الاقتصادية والإقليمية والعالمية لأزمة الخليج، وغير ذلك مما يستدعي تقويم الممارسة العلمية للمجتمعات الإسلامية في توظيفها للمال ومدى اتساقها مع الرؤية الإسلامية.

2.3 تحديات الفكر الإسلامي المعاصر والنظام العالمي الجديد:

أستهل هذا العنصر بإشارة إلى المؤامرة الكبرى على تاريخ الإسلام كسببٍ أساسيٍّ ورئيسٍ لقيام نظامٍ عالميٍّ جديد، يتركز على ما يسمّيه البعض بالحضارة الغربية والتطور الصناعي، الذي حاول تحطيم العقل الإنساني من خلال ما عُرف بالذكاء الاصطناعي، الذي جمّد واستبدل العقل البشري، وعطلّه عن وظائفه، فأصابه الفتور والغباء.

لقد كان تاريخ الإسلام هدفًا من أخطر أهداف الاستشراق، والتغريب، والتبشير، والغزو الثقافي في العصر الحديث منذ بدأت الحملة الاستعمارية على عالم الإسلام والعرب، من خلال الاحتلال البريطاني، والفرنسي، والإيطالي، والهولندي، ذلك لأن الاستعمار كان يستهدف استدامة سيطرته على الأمة الإسلامية، من خلال تخريب تاريخها وتدمير مقومات فكرها أساسًا، ولذلك فقد بدأت المؤامرة على تاريخ الإسلام منذ وقت باكر، وامتدت لتسلك سُبُلًا مختلفة وأبعادًا واسعة⁽¹⁾، ومن هذه السبل التي تمثل تحديات يواجهها الفكر الإسلامي المعاصر ما يلي:

أ. الدعوة إلى إثارة العنصرية والعنصرية وإعلاء الأجناس:

وهي عملية إذكاء الدّعوة إلى الإقليميات والقوميات الضيقة للقضاء على روح الوحدة الإسلامية، حيث طَفَت على السطح انعكاسات هذه الدّعاوات على ما عُرف بالقومية العربية، التي ظهرت كمنافسٍ للحركات الإسلامية بالعالم العربي، مما يعني بالضرورة إزاحة الفكر الإسلامي بل والتشكيك فيه، لقد حاولت حركة التغريب والغزو الثقافي ومن تابعها من الأحزاب العربية عزّل مفهوم العروبة عن أصلاته، والدّعوة إلى علمنتها بغية القضاء على مفهوم الأصالة الذي يقرّر أنّ العروبة ذات أرضية إسلامية.

لقد كان هدفهم من خلال هذه الدّعوة إعلاء شأن القوميات، حتّى في الأمم الإسلامية ذاتها، فضلاً عن فصل هذه الأمم الإسلامية وفصل العرب عن الامتداد الإسلامي، إلى جانب إعلاء الأجناس واستغلال نظرية السلالات والعنصرية في تبرير الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، وذلك بدعوى أفضلية العنصر الأبيض صانع الحضارة، ولقد وصّف "ألدوس هكسلي" هذه الدّعاوات العنصرية والقومية والإقليمية بالأصنام الجديدة التي رفعتها الحضارة الحديثة، والتي جعلت من الوطنية أو القومية آلهة تُعبد من دون الله⁽²⁾.

ب. الاتجاه التغريبي:

يشكّل صنف المفكرين الذين تكوّنوا وتشبّعوا بالفلسفات والنظريات الغربية، القائمة على الأسس العلمانية التي توصّل إليها الغرب بعد الثورة الفرنسية سنة 1776م، التي استبعدت الدين عن كلّ شؤون الحكم

(1) الجندي، أنور، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، د.ط، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت، ص: 3.

(2) المرجع نفسه، ص: 168.

والمجتمع، فدَرسوا الفِكرَ الإسلاميَّ وهم مشبعون بالأسس النَّظريَّة والفكرية الغربيَّة، فَعَمَلُوا على وضع الإسلام ضمن إطار الأدوات الفلسفيَّة الغربيَّة وإخضاعه لها، حيث ترمي «كتابات التَّغريب إلى قطع علاقة التَّاريخ بالأُمَّة ومقوِّماتها والتَّحدُّث عن تاريخ بشريٍّ أو عالميٍّ ... ولذلك فإنَّ محاولة التَّغريب في تقديم صورة قِوامها الاستمئانة والسَّخريَّة بأمجاد الأُمَّة الإسلاميَّة وتاريخها من شأنها أن تدفع شبابها إلى احتقار هذا التَّاريخ، و مِنْ ثَمَّ فهو لا يستطيع أن يحمل أمانة بناء الأُمَّة»⁽¹⁾.

ومن أمثلة ما دعا إليه هذا التيار التَّغريبي تبني التَّجربة التَّركيَّة الكماليَّة في نبذ الحروف العربيَّة، وكتابة اللُّغة العربيَّة بالحروف اللاتينيَّة، وإلغاء قواعد النُّحو والصَّرف العربي، بعد أن يَسْخَر منها⁽²⁾.

يمثِّل هذا الاتجاه خطراً كبيراً يريد أن يسلخ المجتمع الإسلاميَّ من رَدائِه الحضاريِّ، فالأوَّلَى في كلِّ محاولات التَّجديد احترام الحضارة الإسلاميَّة، والتي بدورها تحترم التَّراث الحضاريَّ البشريَّ لكلِّ من سَبَقَها وعاصَرها، فلم يكن العقل الإسلاميَّ الجديد يتشجَّج في دائرة الدَّات، وينقِفِلُ على حدود الأنا، بل لقد علَّمتُه العقيدة التي أعادت تشكيله تقاليد الانفتاح المرن على كلِّ حضارة⁽³⁾.

ج. إحياء التَّاريخ القديم في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة وكتابة التَّاريخ القومي:

وهي محاولة من الاستعمار الغربيِّ إلى كتابة التَّاريخ الوطنيِّ الذي كان في منطلقه زائفاً في غايته، فالتَّقسيمات التي حصلت تحت مسمَّى الإقليميّات التي سعى لإقامتها المستعمر في كلِّ المجالات، منها الأرض (المجال الجغرافي) واللُّغة والتَّاريخ، والتي تحقَّقت بعد الحرب العالميَّة الأولى، وبعد أن انفصلت عن دولة الخلافة الإسلاميَّة التي كانت تجمُّع أغلب البلاد العربيَّة تحت لوائها والتي كان وجودها متَّصلاً منذ ظهور الإسلام⁽⁴⁾.

لقد حاول الاستعمار السَّيطرة على هذا التَّاريخ الوطني، وأطلق عليه التَّاريخ القومي، على أساس أن المصريين قوم، والعراقيين قوم، وغير ذلك، حتَّى فَرَضَ فكرة أنَّها بلاد لم تتحرَّر طوال تاريخها تبريراً لوجودها تحت الاحتلال الغربي، وقد سعى للدَّعوة إلى الفرعونيَّة، والفينيقيَّة، والآشوريَّة، والبابليَّة في البلاد العربيَّة، وإحياء تراث كورش في إيران، أو الهندوكية في البلاد الهندية الإسلاميَّة، وذلك لردِّ مصر والشَّام والعراق وغيرها عن ارتباطها الإسلاميِّ الممتدِّ خلال أربعة عشر قرناً إلى صلات قديمة، تتعلَّق بما كشفت عنه حفريَّات الآثار⁽⁵⁾، وأيضا لتمكين الباحثين اليوم من دراسة تاريخ محدود لا يتجاوز رقعته الجغرافيَّة أو مجال انتمائه الضَّيق.

لقد تبيَّن بدلائل قوميَّة أنَّ ما يسمُّونه الفرعونيَّة والآشوريَّة والكنعانيَّة والفينيقيَّة ما هي إلا موجات عربيَّة متتابعة، تدافعت من داخل الجزيرة العربيَّة حيث استطاعت أن تستقر في أجزاء مختلفة من امتداد الجزيرة العربيَّة، إلى ما بين النهرين في وديان العراق، وسهول سوريا، وأرض النِّيل، كما تبيَّن أنَّ هذه المنطقة التي يُطلَقُ

(1) الجندي، أنور، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، ص 14.

(2) فريجة، أنيس، دراسات في اللُّغة العربيَّة، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1965م، ص: 32.

(3) خليل، عماد الدِّين، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ط1، قطر، سلسلة كتاب الأُمَّة القطريَّة رئاسة المحاكم الشَّرعِيَّة والشُّؤون الدِّينيَّة بدولة قطر، 1403هـ، ص: 65.

(4) الجندي، أنور، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، ص: 156.

(5) المرجع نفسه، ص: 157.

عليها الوطن العربيّ هي جزء من العالم الإسلاميّ، مرتبطة به تاريخيًا وجغرافيًا وثقافيًا، وأنّ هنالك تكاملًا اقتصاديًا واجتماعيًا بين مختلف أجزاء العالم الإسلاميّ، وأنّ من العسير أن تمثل هذه التقسيمات السياسيّة الاستعماريّة أي معنًى من معاني الاكتفاء الذاتيّ⁽¹⁾.

د. محاولات إحياء التراث الجاهلي والوثني:

إنّ محاولة إحياء تاريخ ما قبل الإسلام وحضارته وتراثه الوطنيّ، من أخطر الدّعوات على اعتبار أنّها تتعارض مع روح الإسلام وتوحيد الله، وقد جندت لها قوى الاستعمار والصهيونيّة أعلامًا كثيرة، واعتمدت لها مبالغ ضخمة، وعقدت لها مؤتمرات ومجامع، وصدرت عنها كتب ومؤلفات، واتّسع نطاق الدّعوة حتّى شمل مجال الفنون، بإعلاء تلك الصّور السّاذجة التّافهة من الأزجال والأغاني والمواويل والأمثال العامية والوثنية البائدة، التي تتعارض مع سموّ التراث الإسلاميّ العربيّ، القائم على البيان العربيّ البليغ والمضمون السّاميّ، وقد انتشرت هذه الدّعوة في السنوات الأخيرة وشملت أقطاراً عربيّة وإسلاميّة عديدة، وخدّعت كثيرًا من البسطاء والسّذج في محاولة لإحياء التراث الجاهلي والوثنيّ، الذي قصّى عليه الإسلام، لأنّه يتعارض مع مفهوم التّوحيد الخالص⁽²⁾.

هـ. الغزو الفكري:

فرض الفكر الغربيّ ومحاولة تطبيقه داخل المجتمعات الإسلاميّة، مع أنّه متناقض ومخالف للفكر الإسلاميّ، فالنّظريّات الماركسيّة والوجوديّة والفرويديّة تدعو إلى أفكار تناقض القيم الإسلاميّة، وتحاول أن تشكّك في ثباتها وارتباطها بالإنسان، وأخطر ما يواجه المسلمين من هذه النّظريّات الوافدة المطروحة في أفق الفكر الإسلاميّ، أن يظنّ البعض أنّها علومٌ ومفاهيم علميّة مقرّرة، ودون شكّ أنّ العلوم الإنسانيّة «تشكّل الميدان الخصب، والتّربة المناسبة للغزو في حياة المسلمين الفكريّة، منذ عهدٍ بعيدٍ، وذلك لأنّها بطبيعة الحال ممتدّة ومتقدّمة في نطاق الثّقافة الغربيّة، وأنّ آليّتها ومناهجها، ونظامها المعرفيّ اليوم يكاد يكون غريبًا بالكامل، وإنّنا نحن المسلمين، لا نمتلك في هذا الميدان إلّا القيم في الكتاب والسّنة، التي تشكّل لنا عواصم ومناعة ثقافيّة، إن أحسنّا التّعامل معها، حيث لا بدّ من الاعتراف، أنّنا ما نزال نشكو فقر نظامنا التّعليميّ، والمعرفيّ، من آليّة ومنهجيّة، نابعة من قيمنا، ومتّسقة معها، إلّا القليل القليل، لذلك فمن السّهل جدّا أن يدخل علينا أو أن نخترق من خلال النّظام المعرفيّ الغربيّ»⁽³⁾.

و. حركات وتيّارات منحرفة:

وهي تيّارات عمِل الجانب الغربيّ على زرعها وسط الأوساط الإسلاميّة في شكل حركات، تمثّل وتتبني النّهضة الحديثة، ومن أهمّها الحركة الأحمدية والقاديانيّة والبهائيّة، التي عملت على إثارة الشّبهات حول الإسلام، فالقاديانيّة كما صرح البهيّ: «كانت تنشر في العالم الإسلاميّ الفوضى الفكريّة، وعدم الثّقة بمصادره الصّحيحة

(1) الجندي، أنور، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، ص: 161.

(2) الجندي، أنور، إحياء التراث الجاهلي والوثني تحت اسم الفلكلور: التراث الشّعبي، د.ط، القاهرة، دار الأنصار، د.ت، ص: 5.

(3) السّايح، أحمد عبد الرّحيم، في الغزو الفكري، د.ط، قطر، دار الأخبار اليوم، 1994م، ص: 13.

وَسَلَفِهِ، وَتَقَطُّعَ صِلَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ مَاضِيهَا وَخَيْرِ أَيَّامِهَا وَأَفْضَلِ رِجَالِهَا، وَتَفْتِاحَ بَابِ الْأَدْعِيَاءِ وَالْمُتَطَلِّينَ عَلَى مَصْرَاعِيهِ وَتَسْيِءِ الظَّنِّ بِقُوَّةِ الْإِسْلَامِ وَحَيَوِيَّتِهِ وَإِنْتِاجِهِ...»⁽¹⁾.

وبصورة مختلفة برز التيار الاستشراقي الذي حَرَصَ من خلال كتاباته على أن يُخْرِجَ المسلمين والعرب من أصول تاريخهم، ومن مفاهيمه، وأن يزدري تراثهم... ولقد كان له وجهات مختلفة في تسميم آبار التاريخ الإسلامي، وفق الغايات التي تتصل بأهداف الاستعمار أو الشيوعية أو الصهيونية⁽²⁾.

لقد أثار المستشرقون الشبهات حول الإسلام والتشكيك في طبيعته، التي ميّزته عن سائر الأديان، باعتباره منهج حياة ونظام مجتمع، وإثارة الشبهات حول نبي الإسلام.

ز. النزعة التقليدية:

أصبحت الأمة الإسلامية بأفة التقليد الأعمى للمتقدمين من السلف دون تمحيص ولا نقدي، فقد كانت فكرة العصور الوسطى المحافظة والجامدة واللاعقلانية التي اقتنع أصحابها بالجمع والتصنيف والتدوين وخاصة التراث غير العقلاني، كانت واحدة من أصعب الأزمات التي عاشتها الأمة الإسلامية⁽³⁾، والتقليد آفة كبرى تنهار بها الأمم العاكفة على أطلال السابقين، ولابن خلدون في توصيف هذه الحالة وأثارها على عقلية الإنسان وقابليته للتعليم كلام لا يزال أثره إلى يوم الناس هذا، حيث يقول: «تجد طالب العلم منهم وقد ذهب أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكته قاصرة في علمه، إن قاوض أو ناظر أو علم، وما أتاهاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به، وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك»⁽⁴⁾.

لقد بات من الضروري في عصرنا هذا إعادة النظر في المفاهيم التقليدية التي لا تتماشى ومختلف المتغيرات، وتطوير الفكر الديني بما يساهم في تطوير فهم الدين وبلورته وفق سياق العصر.

ح. الغلو والتطرف:

يَقَعُ الفكر الإسلامي المعاصر بين غلو الإفراط والتفريط، وأما أهل الغلو في الإفراط فهم السلفيون الذين وقفوا عند ظواهر النصوص ورفضوا التأويل بإطلاق، والذين يمثلون أحد أطراف التقيض في فهم الفكر الإسلامي، بل وأنكروا المجاز في النص الديني، متخذين موقفاً متطرفاً من الرأي، حتى كان التشديد والتعنيف، في الفهم المبتسر للولاء والبراء، وفي التكفير والتبديع، والجهل بالكتاب والسنة ومعرفة الأدلة الشرعية، ومعرفة الترجيح أو الجمع والتركيب، أو التغليب والتقريب عند تعارض الأدلة، وعدم القدرة على الموازنة بين فقه الفهم وفقه التزويل.

(1) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص: 37.

(2) الجندي، أنور، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، ص: 18.

(3) عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، ط2، القاهرة، دار الشروق، 1997م، ص: 297.

(4) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1999م، ج1، ص: 432.

وفي المقابل جماعة التّفريط وهم العلمانيّون الذين يمثّلون الطّرف الآخر للغلوّ، والمتنبّعون لمنهج سوء القصد، باتّباع الشّهات والشّهوات، ممّا يزيد من خطورة الغلوّ والتّطرف.

خاتمة:

يمثّل الفكر الإسلاميّ المعاصر ثمرة الاجتهادات العقليّة في مختلف مجالات العلوم الإسلاميّة، ولقد مرّ هذا الفكر بمحطّات تاريخيّة جعلته يتطوّر ويأخذ طابعا جديدا وفق كلّ حقبة، وقد برّزت عدّة أسماء خلال هذه المراحل لمفكرين عملوا على تجديده، ومجابهة العديد من مظاهر الاستبداد، والدّعوة للوحدة، والصّحوة الإسلاميّة، والإصلاح الديني.

لقد طرّحت محاولات تجديد الفكر الإسلاميّ عدّة مواضيع وإشكالات معاصرة، طفّت على سطح المجتمعات الإسلاميّة، وأزّقت كاهلها، فكان من هذه الإشكالات: علاقة الدّولة بالدين، وصراع الحضارات، العولمة والعلمانيّة، الإسلاموفوبيا، قضايا المنهج ودراسة الدين، وغيرها من المسائل الرّاهنة والمستحدّة.

ويواجه الفكر الإسلاميّ المعاصر جملة من التّحدّيات القويّة التي تمثّل عوائق كبيرة أمام صموده وتطوّره، أهمّها الاحتلال الغربيّ على مختلف صوره وأشكاله، والذي حاول بخطط مختلفة إضعاف الهيكل الإسلاميّ وتشيت مجتمعاته، ويمثّل هذا الاحتلال بداية نظام عالميّ جديد لا يمكن بلوغه إلّا بضرب الإسلام ومنظومته القيميّة.

التوصيات:

- العمل على تكريس الفكر الإسلاميّ المعاصر للانفتاح أكثر على القضايا الرّاهنة ذات البعد الإنساني خاصّة.

- التّصدّي لمختلف العراقيل والتّحدّيات التي تعيق تجديد الفكر الإسلاميّ، ومزيد العمل على رفع الجهل عن العقول والحثّ على المعرفة وتتبعها من مصادرها الأصليّة.

- تشجيع مختلف المشاريع الجادّة التي تسعى لتجديد الفكر الإسلاميّ، والعناية بالخطاب الديني، ومجابهة التّشدّد والأدلجة في طرح المسائل والإشكالات.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1999م.
2. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، 1979م.
3. ابن قاضي، المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.
4. ابن كثير، البداية والنهاية، ط3، بيروت، دار ابن كثير، 2013م.
5. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ.
6. الأفغاني، جمال الدين، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمد عمارة، د.ط، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، د.ت.
7. الأفغاني، جمال الدين، مجلة العروة الوثقى، العدد الأول، 11 مارس 1884.
8. بن نبي، مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط1، القاهرة، دار الفكر، 1960م.
9. البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط10، القاهرة، مكتبة وهبة، د.ت.
10. البهي، محمد، الفكر الإسلامي في تطوره، ط2، مصر، مكتبة وهبة، 1981م.
11. الهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحدوح، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.
12. الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
13. الجندي، أنور، إحياء التراث الجاهلي والوثني تحت اسم الفلكلور: التراث الشعبي، د.ط، القاهرة، دار الأنصار، د.ت.
14. الجندي، أنور، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، د.ط، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت.
15. خليل، عماد الدين، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ط1، قطر، سلسلة كتاب الأمة القطرية رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، 1403هـ.
16. السايح، أحمد عبد الرحيم، في الغزو الفكري، د.ط، قطر، دار الأخبار اليوم، 1994م.
17. الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تح صبيح حلاق، ط1، دمشق، دار ابن كثير، د.ت.
18. العقاد، عباس محمود، الإسلام في القرن العشرين، د.ط، القاهرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1954م.
19. عمارة، محمد، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، د.ط، القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990م.
20. عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، ط2، القاهرة، دار الشروق، 1997م.
21. الغوري، سيد عبد الماجد، مقدمة ديوان محمد إقبال، ط3، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر، 2007م.
22. فتحي، عبد الفتاح أبو حسن شكر، الإحياء بعد الإنساء، د.ط، القاهرة، دار الكلمة، 2017م.
23. فريجة، أنيس، دراسات في اللغة العربية، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1965م.
24. القادري، عبد المالك بن عبد الله، مختصر الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، د.ط، دمشق، دار الجزائر العربية، 1385.

25. مجموعة من المؤلفين، قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.
26. محسن، عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م.
27. المسير، محمد سيّد أحمد، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، د.ط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2002م.